دراسة للمواليد والوفيات من خلال كتب التراجم"كتاب رياض النفوس أنموذجا"

A Study of Births and Deaths through the Books of Translations "The Book of Riyad Al-Nafoos a Model"

أ. صالحي وداد

salhi-ouidad@univ-eloued.dz

جامعة الوادي

أ. **صالحي سمية** (2)

Salhiuniver@gmail.com

جامعة الوادي

تاريخ الاستلام: 2018/03/23 تاريخ القبول للنشر: 2018/05/05

ملخص:

إن المتتبع لحركة المواليد والوفيات في بلاد المغرب نجدها تتأرجح بين زيادة أو نقصان، في كلا الحالتين، وتتحكم فيها عدة عوامل خفية ومعلنة، وهذا يؤثر على الحركة السكانية وطبيعة مواليدها، ومن خلال كتب التراجم التي تترجم لنا شخصيات عاشت وماتت في بلاد المغرب، من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى غاية خروج الدولة العبيدية إلى مصر ، ولهذا خالجتنا الإشكاليات التالية:

كيف تتأثر نسبة المواليد والوفيات في بلاد المغرب في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية من خلال كتب التراجم؟رياض النفوس أنموذجا .

الكلمات المفتاحية: المواليد؛ الوفيات؛ المغرب؛ كتب التراجم؛ رياض النفوس.

Abstract:

The follower of the movement of births and deaths in the Maghreb find them fluctuating between increase or decrease, in both cases controlled by several hidden and declared factors which affects the movement of population and the nature of its birth. Through books of translations that translated some personalities lived and died in Morocco from Islam opening of the Maghreb until the departure of the Abidian state to Egypt, therefore we have the following problems:
- How is the percentage of births and deaths in Morocco affected by social and political changes through the books of translations?

***key words**:* Births; Deaths; Morocco; books of translations; Riyad Al-Nafoos.

مقدّمة:

إن حركة المواليد والوفيات في بلاد المغرب، وتتحكم فيها عدة عوامل بين الزيادة والنقصان، وهذا يؤثر على الحركة السكانية وطبيعة مواليدها، وهذا من خلال كتب التراجم، بدايتا من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى غاية خروج الدولة العبيدية إلى مصر ، ولهذا خالجتنا الإشكاليات التالية:

- كيف تتأثر المواليد والوفيات في بلاد المغرب من خلال كتب التراجم؟ رياض النفوس أنموذجا .

ولحل الإشكاليات السابقة الذكر،ارتأينا أن نضع إحصاء لمعظم الشخصيات التي ذكرت، وتصنيفها في جداول، مخصصين لكل عنوان وارد في كتاب رياض النفوس جدولا خاصا به ولشخصياته التي ترجم لها، ثم نعطي أهم الملاحظات التي استنتجناها من خلال تلك الجداول، ماعدا الجزء الثاني الذي غيرنا في عملية وطريقة الإحصاء،

حيث جعلنا لكل سنة عدد الوفيات فيها، ثم ختمناها بخاتمة ،وذكر قائمة للمصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها.

ولقد اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي الذي هو الأنسب لموضوعنا وخصوصا في عملية التحليل، والمنهج الإحصائي الذي هو الملائم كذلك لعملية إحصاء الشخصيات المترجم لها.

توطئة: تعريف المؤلف أبي بكر المالكي :

أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي لا نعرف عنه إلا ترجمات موجزة سواء في المصادر أو في المراجع ، فقد ولد في العقد الأول للقرن الخامس هجري ، روى عن علماء عصره خاصة أبا عبد الله الحسين أبي العباس الأجدابي ويستفاد من نص جاء في ثنايا كتاب رياض النفوس أنه أقام مدة في صقلية ودرس بها.[1]

أما الآخذون عنه نجد محمد بن علي المازري(ت 536هـ)، أما الثاني فهو صقلي لقيه في بافريقية واخذ عنه وهو أبو البهاء عبد الكريم بن عبد الله بن محمد الصقلي المولود 440هـ بصقلية وتوفي بالإسكندرية 517هـ.[2]

أما عن وفاته فإن المؤرخين رجحوها بعد استيلاء النورمان على صقلية 474هـ/ 1091م أو بعد الاستيلاء عن الجزء الأكبر منها سنة 464هـ /1072م أنه ذكر زيارته إلى صقلية كما أسلفنا [3].

أولا: ذكر فتح افريقية ومن دخلها من أصحاب الرسول . صلى الله عليه وسلم . :

بدأ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عن طريق مصر ، وكان سببه تأمين حدودها الغربية ، فدخل العرب الفاتحين طرابلس سنة 23هـ بقيادة عمرو بن العاص ، التي فتحها عنوة [4]، ولقد كان لهذا الفتح دور كبير في تحديد نسبة المواليد و الوفيات ، فكون الفتح كان عنوة

يأخذنا بالتسليم لازدياد نسبة الوفيات نتيجة الصراع الذي دار بين العرب الفاتحين و بين البربر السكان الأصلين للمنطقة .

وبعد دخول العرب طرابلس توسعوا إلى افريقية وكان ذلك حوالي سنة27هـ في جيش قوامه عشرين ألف من المسلمين ، فيهم جماعة من الصحابة منهم العبادلة السبعة ، وهنا تم اختطاط مدينة القيروان[5] ، مما يعني بداية استقرار العرب ببلاد المغرب ، ومن هنا نستنتج زيادة في عدد المواليد نتيجة دخول عنصر جديد.

وعند وصول الفاتحين إلى سبيطلة دارت معركة بينهم و بين ملك افريقية جرجير،[6] وهذا يجعلنا نسلم بازدياد عدد الوفيات خلال هذه الفترة نتيجة لهذه الصراعات وما يترتب عليها من قتلى .

ثم تواصل الفتح الإسلامي حتى بلغ القيروان التي فتحت على يد عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ[7]، الذي تمكن من بناء مدينة القيروان وتحصينها ، ومن هنا تزايد عدد المستقرين ببلاد المغرب ، فالعنصر العربي الذي دخل في صورة جيوش فاتحة لحقت به جماعات أخرى من الجند و المهاجرين العرب ، وكان نتيجة لهذا قيام مجتمعات عربية صغيرة ، ثم أخذوا ينتشرون في نواحي البلاد و لحقت بهم جماعات من المهاجرين غير العسكريين أو غير الرسميين ، وكان نتيجة لذلك تزايد أعداد البلديين بصورة مستمرة [8]، هذا بالإضافة إلى إمكانية حدوث مصاهرة بين هؤلاء العرب القادمين من المشرق ومن أسلم من البربر.

وعند وصول عقبة بن نافع إلى السوس الأعظم اجتمع عليه البربر في عدد لا يحصى ، فاقتتلوا قتالا شديدا ،حتى كثر القتلى في الطرفين [9].

وفي ولاية حسان بن النعمان التي بدأت سنة 69هـ حدث صراع كبير بينه وبين زعيمة البربر المعروفة بالكاهنة ، حيث يذكر المالكي أنهم اقتتلوا قتالا شديدا وعظم البلاء و ظن المسلمون أنه الفناء وانهزم حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير، وبعد ثلاث سنوات عاد الصراع بينهم انتهى بموت الكاهنة و جمع غفير من البربر[10].

وخلاصة القول في هذه الجزئية أن نسبة المواليد والوفيات خلال مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تحكمت بها وبشكل أساسي الأوضاع السياسية السائدة آنذاك ،ويظهر ذلك جليا في نوعية الفتح (صلحا كان أم عنوة) ، فالصراعات التي دارت بين العرب الفاتحين و البربر كانت سببا أساسيا في ازدياد نسبة الوفيات في كلا الجانبين ، لكن هذا لا يعني انعدام الولادات تماما خاصة بعد بناء عقبة بن نافع لمدينة القيروان وما انجر عنه من استقرار للعرب في بلاد المغرب ، ناهيك عن حدوث بعض الزيجات بين العرب و البربر.

ثانيا: **ذكر من دخل افريقية وأوطانها من التابعين وهم الطبقة الأولى من علماءالقيروان:**

1. العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز :

الشخصية	الولادة	الوفاة	معدل العمر	ملاحظة	الصفحة
1أبوعبد الرحمن الحبلي اسمه عبد الله ابن يزيد المعافري	/	100هـ دفن بتونس	/	/	99

2. أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي		/	بعد ثورة ميسرة 122هـ	/	كان من العلماء الذين جمعهم حنضلة بن صفوان بعد ثورة الخوارج 122هـ وكتبوا له رسالة ليقتدي به الناس	102
3. إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري		/	توفي في خلافة هشام بن عبد الملك 115هـ	/	كان يقال له تاجر الله كان يوجه المولدات والأحمال إلى المشرق فوجههم وخرج يشيعهم إلى قصر الماء فسمع بكاء فقال ما هذا فقيل له هؤلاء المولدات الذين وجهتهم يبكون عن آبائهم وأمهاتهم فبكى اسماعيل وقال إن الدنيا بلغت بي أن أفرق بين الأحبة أشهدكم من كانت لها أم أو أب أو ابن فهي حرة لوجه الله فقيل انزل 70من المولدات	105

4. أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي	/	113هـ	/	/	110
5. حبان بن أبي حبلة القرشي	/	125هـ	/	/	112
6. أبو تمامة بكر بن سوادة الجذامي	/	128هـ	/	/	113
7أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير اليشوب	/	115هـ	/	/	115
8. أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن مهاجر القرشي المخزومي	/	132هـ	/	/	115
9. طلق بن جبان	/	/	/	/	117

2. من ذكر من هذه الطبقة ممن هم سوى العشرة المتقدمة :

الشخصية	الولادة	الوفاة	معدل العمر	ملاحظة	الصفحة
1. أبو عبد الله بن رباح بن قصير اللخمي	/	توفي بالمدينة المنورة	/	/	119

		100هـ			
2. أبو رشد بن حنش بن عبد الله السبائ الصنعاني	/	100هـ	/	/	122
3. أبو غطيفالهندلي اسمه جندب بن بشر وقيل حبيب بن بشر	/	99هـ	/	/	130
4. أبو الأشعث ربيعة بن يزيد	/	123هـ	/	خرج ربيع بن يزيد غازيا إلى افريقية بعثه هشام بن عبد الملك وقتل بافريقية على يد البربر.	
5. أبو يحي عياض بن عقبة بن نافع الفهري	/	توفي بمصر سنة 100هـ	/	/	132
6. أبو المنصور مولى سعد بن أبي الوقاص	/	توفي بالقيروان	/	/	134

7. أبو علقمة مولى عبد الله ابن العباس	/	توفي بالقيروان	/	/	135

3. ذكر من دخل افريقية والقيروان من هذه الطبقة ورجع إلى بلده وغيره:

الشخصية	الولادة	الوفاة	معدل العمر	ملاحظة	الصفحة
1. عاصم بن عمر الخطاب	ولد بعد وفاة الرسول صلى الله وعليه وسلم بخمسة سنوات أي 15هـ	/	/	/	141
2. أبو قبيل المعافري اسمه حي بن هانيء	/	128هـ بالبرلس بالشام	/	كانت داره تسمى اللفيف أي خليط من كثرة ما فيها من أمهات ابنائه	145
3. أبو عبد الله بن عكرمة	/	105هـ	/	/	

مولى عبد الله بن العباس					
4. يحيي بن سعيد بن قيس بن فهد الأنصاري	/	143هـ ببغداد	/	/	
5. أبو أيوب سليمان بن يسار	/	94هـ بالمدينة المنورة	/	/	/

الملاحظة:

إذا لاحظنا الطبقة الأولى سواء كانوا من العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز[11] أو غيرهم نجد أنهم مولودون في المشرق وعدم ذكر البلد بالتحديد كالمدينة المنورة أو مكة أو دمشق أو مصر .

كذلك عدم ذكر سنة الولادة سواء عند أبي بكر المالكي في كتابه رياض النفوس أو غيره ونفسر هذا بأن مرحلة التدوين لهؤلاء كانت في فترة متأخرة وأن التدوين كان عن طريق الاستنباط من أحداث عصرهم وهذا يعطينا انعكاس بأن العالم الإسلامي لم يكن يدون مواليده .

الشخصية	سنة الولادة	سنة الوفاة	معدل العمر	الملاحظة	الصفحة
1. أبو خالد عبد	السنة التي	رمضان 161هـ بالقيروان	63	كان بالعراق فأرسل له أهله	162

الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري	فتحت فيها افريقية أي 27هـ	سبب الموت أنه أكل حيتان درنية مع اللبن .		كتابا من افريقية فلما فتحه تغير لونه وأصفر فما إن فرغ من الكتاب حتى رجع إليه لونه فقال له أصحابه أصلحك الله لقد رأينا منك عجبا فقال لما قرأت الكتاب قرأت سلام من أهلي ومالي وولدي فتغير لوني إذ لم يذكرني الله عز وجل بمصيبة ثم قرأت آخر الكتاب فذكروا بأني ابتليت بكذا ومات لك كذا ففرحت .	
2. خالد بن أبي عمران القاضي	/	127هـ وذلك لما هاجم الصفرية افريقية يوم القرن برز لهم أبي عمران فقاتلهم إلى أن قتل على يد ابن عم عبد الواحد الزناتي الصفري.	/	/	162
3. أبو كريب جميل بن المعافريالقاضي اسمه عبد الرحمن	/	139 هـ على يد الخوارج بنواحي القيروان حين ثار عاصم بن جميل على حبيب بن عبد الرحمن فخرج إليهم عبد الرحمن فقاتلهم فهزم هو ومن معه فلما سار إلى المدينة أمر أبو كريب القاضي بقتاله لكن قتل هو ومن معه .	/	/	168
4. يزيد بن طفيل القاضي اسمه عبد الله بن عبد الرحمن	/	لا توجد سنة ولادته ولا سنة وفاته إلا أنه عمل في القضاء في عهد الوالي عمر بن حفص و الوالي يزيد بن حاتم أي نرجح أنه عاش في منتصف القرن 2هـ .	/	كان يجلس في المسجد فلا يأتيه أحد لقلة الخصومات فينعس فينام في مكانه.	172
5. أبو عمران	أصله من	توفي بالإسكندرية			751

موسى بن علي بن رباح بن قصير اللخمي	القيروان وبها ولد	163هـ.	/		

أما عن للوفيات نجدها وفاة طبيعية إلى غاية 99هـ /122هـ ، و هذا يعطينا انعكاس إلى الهدوء النسبي الذي تعيشه القيروان عكس الفترة التي بعدها بوفاة الأشعث بن ربيعة 123هـ على يد البربر وهذا مؤشر على عدم الاستقرار والهدوء وهذا ينعكس على الولادات والوفيات في المنطقة .

وفاة كل من أبو أيوب سليمان 94هـ بالمدينة المنورة ويحي ابن عياض بمصر 100هـ ويحي بن سعيد بن قيس الأنصاري ببغداد 143هـ توحي لنا النافذة المفتوحة بين المغرب والمشرق وكذلك وفاة بالمغرب تعطينا إيحاء آخر وهو الاستقرار العربي في المغرب وتزوج من المغربيات ويكون المواليد هنا مزيج وبالتالي ظهور طبقة جديدة في المنطقة .

أما معدل الأعمار فلم نستطع حسابه لعدم توفر سنة الولادة لكن بملاحظة سنة قدومهم إلى المغرب 100هـ ووفاتهم بعد115هـ نفسر هذا لعدم موتهم شباب بل في مرحلة متقدمة من العمر.

ثالثا: **ذكر الطبقة الثانية من فقهاء مدينة القيروان وما يليها من البلدان:**

الملاحظ:ذكر سنة ولادة كل من أبو خالد عبد الرحمن المعافري وكذلك أبو عمران موسى اللخمي وأنهما من مواليد المغرب وبالتالي هؤلاء الجيل الأول الذي تحدثنا عليه لكن لا ندري إن كانت أمهاتهم عربيات أو مغربيات .

كذلك نلاحظ أن الوفاة لم تكن طبيعية بل بسبب ثورة 122هـ[12] ولم تصل إلى القيروان إلا في حوالي سنة127هـ وهذا ينعكس على الولادات بالقيروان خاصة والمغرب عامة.

وأما قصة القاضي يزيد بن طفيل وأنه يجلس في مجلسه فلا يأتيه أحد لقلة الخصومات حتى ينعس فينام، هنا نلاحظ الهدوء النسبي الذي رجع للقيروان في عهد يزيد ابن حاتم منتصف القرن 2هـ[13].

أما معدل الأعمار نلاحظ أن أعمارهم كبيرة لكونهم علماء بعيدين عن ميادين القتال إلا في حالة وصول الصراع إلى العاصمة القيروان كما لاحظنا ذلك .

رابعا: ذكر الطبقة الثالثة من فقهاء مدينة القيروان وما يليها من البلدان و محدثيهم:

الشخصية	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	معدل العمر	مآثره ومناقبه	الصفحة
1-البهلول بن راشد الحجري الرعيني	128هـ	183هـ	55	عابدا فقيها.	200
2-أبو عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن ثوبان الرعيني	128هـ	190هـ	62	عالم ورعا قاضي افريقية ،صاحب مال بن انس.	215
3- سقلاب بن يزيد الهمذاني	190هـ	/	/	/	230
4- أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي	/	/	/	ثقة مأمونا متعبدا بارعا في الفقه .	234
5- أبو يحي زكرياء بن الحكم اللخمي	200هـ	/	/	/	238
6- يزيد بن محمد الجمحي	/	/	/	كان ثقة ورعا توفي شهيدا أثناء فتح صقلية .	239
7- يحي بن زكرياء بن محمد بن					

الحكم التجيبي	/	/	/		240
8- أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي	124هـ	210هـ	86	مستجاب الدعاء عالما بالعربية وعبارة الرؤيا .	241
9- أبو الوليد عباس بن االوليد الفارسي	/	218هـ	/	ثقة حافظا للحديث قتل و قطعت رأسه.	248
10. أبو الخطاب محمد بن عبد الاعلى الكندي	/	144	/	فقيها عالما ، من اهم مشايخ افريقية ، قتله ابن الاشعث خلال حملته على افريقية .	251
11. أبو عبد الله أسد بن الفرات	142هـ بحران	213هـ	61	ولي القضاء بافريقية سنة 203هـ قاد حملة فتح صقلية سنة 210هـ.	254
12- أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني القاضي	/	214هـ	/	ولي القضاء مكرها من قبل ابراهيم بن الاغلب.	274
13- أبو عمر البهلول بن عمر بن صالح بن عبيدة بن صالح التجيبي	153هـ	233 أو 234هـ	80	/	281
14- أبو عبد الله زرارة بن عبد الله	/	238هـ	/	/	282
15- أبو الحجاج رباح بن ثابت الازدي	/	237هـ	/	/	283
16. أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي	140هـ	227هـ	87	كان سليط اللسان حتى على الملوك.	284
17- الحارث ابن اسد القفصي	/	/	/	مستجاب الدعوة ، كان يختم في رمضان كل ليلة ختمة.	290
18- عبد المؤمن بن المنستير الجزري	/		/	كان رجلا صالحا كثير الرباط.	291

ذكر من كان من هذه الطبقة من العلماء و المحدثين ممن لم يلق ملكا ولا روى له:

1. أبو يحي مقسم بن عبيد الله الأزدي	/	/	/	صالحا ثقة من الفضلاء.	295
2. حفص بن عمارة	/	/	/	كان يختم كل ليلة ، وكان مؤاخيا للبهلول.	295
3. أبو عبد الله محمد بن علي الرعيني	120 هـ	202 هـ	82	عالما حكيما.	296
4. أبو شيخ المفسرطلق بن الشيخ و يقال سيف	/	211 هـ بالاسكندرية	/	كان صالحا معروفا بالدين ، يعظم سحنون ويستفتيه عن عبارة الرؤيا.	296

ذكر من كان من هذه الطبقة من المتعبدين والزاهدين :

1. أبو يزيد بن رباح بن يزيد اللخمي	134هـ	172هـ	38	صالحا مستجاب الدعوة ، مشهورا بالفضل و الزهد يضرب به المثل في عبادته.	300
2. أبي شقران بن علي الفرضي	116هـ	186هـ	70	مستجاب الدعوة عالما بالفرائض ،كان ضرير البدن و البصر.	312
3. أبو سليمان الحبال	/	/	/	فاضلا متعبدا.	322
4. أبو يزيد عبد الملك بن أبي كريمة الأنصاري	/	/	/	كان ثقة ومستجاب الدعوة.	323
5. حفص بن الجزري	/	/	/	فاضلا زاهدا ورعا ، كان ذا كرامات.	331
6. إسماعيل بن رباح الجزري	/	212هـ	/	مستجاب الدعوة ، مات غريقا في البحر بعد رجوعه من الحج.	333

الملاحظ من خلال الجداول الموضحة أعلاه يمكننا أن نستنتج أن نسبة المواليد و الوفيات في بلاد المغرب الإسلامي تحكمت بها و بشكل كبير الأوضاع السائدة حينذاك ، ففي حالة الاستقرار السياسي والأمن تزداد نسبة المواليد ، أما في حالة وجود اضطرابات وفتن أو حدوث عارض ما كتفشي مرض معين أو نزول جائحة ما يقل تبعا لها عدد المواليد ، مثل ثورة ابن الأشعث الذي أرسله الخليفة العباسي المنصور إلى افريقية

لما ساءت بها الأحوال نتيجة ثورات الخوارج [14]،حيث خرج إليها في جيش كبير تمكن من خلاله من قمع هذه الفتن وكان من بين من توفي بها أبو الخطاب محمد بن الأعلى الكندي كما هو مشار إليه في الجدول .

كما أن إلقاء نظرة ممحصة عن الجدول يتضح لنا ازدياد نسبة الوفيات في الفترة الممتدة بين 210هـ / 218هـ ويمكن تفسير ذلك بعدة أسباب نذكر منها :

ـ ثورة منصور الطنبذي[15] على زيادة الله بن الأغلب عام 209هـ[16]، حيث استطاع هذا الثائر أن يشحذ همم الجند و يقود ثورة كبيرة هزت قواعد الإمارة الأغلبية وكادت أن تسقطها، مما يعني تزايد في عدد الوفيات .

ـ هذا بالإضافة إلى ثورة الفضل بن أبي العنبر بتونس سنة 218هـ التي انتهت بمذبحة راح ضحيتها عدد غفير من أهل المدينة و فقهائها[17] أمثال أبو الوليد عباس بن الوليد الفارسي كما هو موضح في الجدول.

ـ فتح صقلية سنة 212هـ على يد أسد بن الفرات حيث قاد حملة قوامها عشرة آلاف راجل و تسعمائة فارس،[18] مما يعني خروج عدد كبير من سكان المغرب في

هاته الحملة طالبين للجهاد في سبيل الله ، و لقد توفي أثناء هذا الفتح عدد كبير منهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر يزيد بن محمد الجمحي ناهيك عن قائد الحملة ذاته أسد بن الفارات ، وهنا لا يمكننا اغفال ما لهذا الفتح من آثار على بلاد المغرب تمثلت في استقرار عدد من هؤلاء الفاتحين بصقلية مما نتج عنه تراجع في عدد السكان ببلاد المغرب .

1- أبوسعيد سحنون بن سعيد بن ربيعة التوخي	160هـ	240هـ	80	فقيها بارعا ورعا صادقا زاهدا،قيل أنه راهب هذه الأمة ، يعود له الفضل في نشر المذهب المالكي بافريقية بفضل كتابه المدونة .	345 ترتيب المدارك 4/45
2-أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي	/	/	/	من ولد جعفر بن أبي طالب ، كان فاضلا ثقة مأمونا عالما بالحديث و الفقه.	376 ترتيب المدارك 93
3- أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي	/	/	/	صالحا ثقة مأمونا.	385
4- أبو سنان زيد بن سنان الأسدي	/	/	/	فقيها متواضعا.	388
5- أبو الوليد مروان بن شحمة المسلي الافريقي	/	/	/		
6- عبد الله بن محمد بن عياض	/	/	/	كان صالحا ثقة عالما بتعبير الرؤيا.	393
7- أبو جعفر عبد الله بن محمد الدغبشي	/	/	/	ثقة زاهدا.	394
8- عباس بن عبد الله الضرير	/	/	/	من أهل الفضل و العبادة كان كثير الحزن و البكاء يحي الليل صلاة .	395
9- أحمد بن أبي محرز القاضي	/	120هـ	/	ولي القضاء مكرها ، لم يحكم في قضائه سوى بحكم واحد .	395
10. أبو عبد الملك الملشوني	/	/	/	صاحب أخبار و مغازي ، له كتاب في أخبار الأنبياء و في البديء.	401
11. أبو الوليد عبد الملك بن قطن اللغوي	/	/	/	شيخ أهل اللغة و العربية و الرواية من أحفظ العلماء و أكثرهم رواية لأنساب العرب.	404

كما نلاحظ كذلك تزايد في عدد الوفيات في الفترة الممتدة من 227هـ إلى 237هـ نتيجة لثورة الخوارج التي قادتها قبائل لواته و غزوانة و مكناسة ضد عامل قفصة عيسى بن ربعان الأزدي في عهد الخليفة الأغلبي أبو عقال سنة 224هـ[19] وما ترتب عنها من آثار سلبية في زيادة عدد الوفيات نتيجة التنكيل بهم حيث قطع دابرهم من تلك الأطراف.

خامسا: ذكر الطبقة الرابعة من فقهاء القيروان وعبادها :

1- أبو خلف الخياط مطروح بن قيس	/	/	/	فاضلا جليلا مشهورا بالعبادة و الاجتهاد.	408
2- أبو عبد الله حمدون بن عبد الله العسال	/	/	/	من أهل الفضل و الاجتهاد في العبادة كان يصلي ثلث الليل وينام ثلثه و يبكي و يدعو ثلثه.	410
3. أبو محمد الأنصاري	/	/	/	مستجابا ضرير البدن و البصر.	411
4- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسوحي	/	306هـ	/	كان يمكث السبعة أيام و الأكثر و الأقل لا يأكل طعاما.	414
5. أبو زكرياءالهرقلي	/	بعد 240هـ	/	صاحب سحنون لا يكاد يفارقه جلوسا و لا حديثا فلما ولي القضاء ترك مجالسته.	415
6- أبو عمر بشير بن عمرون	/	/	/	من المتعبدين الزهاد ، كان من رهبان الليل مدة 60 سنة.	418
7- مكرم المتعبد	/	/	/	فاضلا متعبدا ، على عهده غزا الروم المنستير.	420
8- أبو محمد عبد الرحيم بن عبه ربه الربعي	/	247هـ	/	توفي معتكفا على صيام النهار و قيام الليل و تلاوة القرآن الكريم.	421 ترتيب المدارك 193
9- أبو السراء واصل				متعبدا بقصر حمة قصر الرباط	431

عبد الله الجمي	/	/	/	بالمهدية حاليا .	ترتيب المدارك 198

ذكر من كان من هذه الطبقة من المتعبدين و الزاهدين و الخانقين و الوجلين المشفقين:

من خلال تتبعنا للشخصيات التي ورد ذكرها في هذه الطبقة يتضح لنا عدم ذكر لا تاريخ الميلاد و لا الوفاة . ما عدا أبو سعيد سحنون بن ربيعة التوخي . على الرغم من كثرة عدد الفقهاء و العباد و الزهاد خلال هذه الفترة ، ولعل مرد ذلك إلى عدم الاهتمام بتدوين التراجم خلال هذه الحقبة الزمنية أو نتيجة لظروف ما حالت دون الاهتمام بهذا الأمر ، والتي نرجح كونها الصراعات المذهبية التي سادت بلاد المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي والذي عرف بكثرة سفك الدماء خاصة الفقهاء المعارضين للمذهب الشيعي الاسماعيلي الذي حاولت هذه الدولة فرضه على سكان المغرب بالقوة ، حيث تذكر المصادر تسلط أمراء بني عبيد على الفقهاء وقتل أربعة آلاف فقيه .

الشخصية	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مدة العمر	طبيعة عمله	الصفحة
1- أبو محمد بن سحنون	202هـ	256هـ	54 سنة	مفتي وعالم بالقرآن و السنة الشريفة	443
2أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس	202هـ	260هـ	58 سنة	عالم في الفقه ومفتي ،وعالم بعلوم القرآن	459
3- أبو عياش أحمد				ناسك وزاهد متعبد ورع.	761 في

بن موسى ابن مخلد الغافقي	/	/	/		رياض النفوس . و393 في ترتيب المدارك.
4- محمد بن منيب	/	/	/	فقيه عراقي المنشأ	463
5- أبو حفص بن عبد الجبار بن خالد السرتي	/	/	/	من أفريقية، وهو من أصحاب سحنون، داعية وإمام، وقد ختم في مسجده 30ألف ختمة	463
6- أحمد بن معتب بن أبي الأزهر بن عبد الوارث بن حسن الأزدي	توفي لشدة خوفه من الله عز وجل	277هـ	/	من أصحاب سحنون، زاهد وناسك	470 في رياض النفوس .و 353 في ترتيب المدارك.
7- أبو جعفر أحمد بن وازن الصواف(جوهرة أصحاب سحنون)	/	/	/	زاهد وناسك (ابنه مولع باللهو و المعازف)	472
8- أبو عبد الله أحمد بن بزيد القرشي (يعرف بالمعلم)	/	/	/ حالته الصحية ممتازة لأنه ختم 19 ألف ختمة على قدمه	زاهد و ناسك ،وقد أخذ عن سحنون	473 في رياض النفوس .و 467 في ترتيب المدارك.
9- أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب	/	/	/	ينظر في الولاة والجباة والقصاص، فوضه الأمير إبراهيم بن أحمد(له أعمال خاصة باليهود) ص477	474
10- أبو الفضل أحمد بن علي بن حميد التميمي	/	/	/	سمع من سحنون وهو زاهد في الدنيا(ترك مال ورثه من أبيه من تجارة العاج) وهو قاضي	479 رياض النفوس وذكره في ترتيب المدارك
11- أبو الحسن بن دارس (المتعبد)	/	224هـ	/	ختم القرآن 8آلاف ختمة ليلا نهارا(زاهد ومتعبد)	480
12- (أبو		284هـ في		زاهد متعبد بسوسة	482

الأحوص)أحمد بن عبد الله	/	كتاب ترتيب المدارك. و289هـ في كتاب رياض النفوس	/		
13- أبو جعفر حمديس(القطان) أسمه أحمد بن محمد الأشعري	/	توفي في القيروان	/	من أصحاب سحنون له فضائل كثيرة جدا	488
14- يحي بن عمر بن يوسف الأندلسي	/	توفي بسوسة في 291هـ	/	كان مجاب الدعوة، زاهد ،وناسك وعالم وخطيب في الجامع ،وهو من تابعي المذهب المالكي	490
15. أبو جعفر أحمد بن سليمان داود الصواف	211هـ	291هـ على الأغلب	أكثر من 80 سنة	فقيه وحكيم و شاعر	505
16- أبو عبد الله محمد بن زرزر الفقيه	/	291هـ على الأغلب	/	كان عالما بمذاهب أهل الكوفة ويجمع أقاويلهم	514
17- أبو هارون الأندلسي	/	291هـ	/	زاهد ورع (لم يتزوج في حياته)	516
18- أبو عقال بن غلبون	/	كان حيا سنة 290هـ ذكره في الصفحة 436	/	زاهد	527

سادسا: ذكر الطبقة الخامسة من علماء القيروان وعبادها وبما يتصل بها من مدنها ومراسيها:

والملاحظ في عموميات هذه الجداول أن عدد ما ذكره المالكي من شخصيات 164 شخصا في جزئه الأول، أما في الجزء الثاني أكمل الباقي لتصبح 270 شخصا من ذوي العلوم، من الفقهاء و النساك و الزهاد، ولقد أختلف في مواليدهم من هو في الأندلس ومكة، ومن هنا نقول أن العناصر السكانية التي أرخ لها المالكي أغلبها من التابعين والعلماء و الفقهاء والزهاد في كلا الجزأين من كتابه رياض النفوس أو كانوا من الفاتحين لأرض افريقية وما جاورها فقط.

ولقد تنوعت الأجناس في أفريقية من الرومان و الأفارقة والعرب و الأندلسيين والبربر ومن هنا فلقد أضاف العنصر العربي إلى البلاد عنصر مهم من الفقهاء والمثقفين والعارفين بعلوم الدين .

فالاستنتاج الأول من هذا نجد أن الأفارقة نوعية مواليدهم خليط من الرومان و البربر وهم محاربين أشداء يفتقرون إلى العلوم وهذا النوع يزيد في عدد المواليد مع اختلاط الأنساب، وهذا نوع جديد من المواليد وهذا النوع عدد وفياته أكبر من العنصر البربري و الروماني، لأنهم في طليعة الحروب التي دارت بين الفاتحين والرومان بالأخص مع الملك جرجير، وخلاصة القول في هذه الفئة أن عدد مواليدهم قليل ، وعدد وفياتهم كبير بحكم الحروب ، والزيجات القليلة من الرومان مهما تخيلنا عدد الرومان المتواجدون في أفريقية في ذلك الوقت .

وإذا أتينا إلى العنصر الثاني(البربر) الذي كان ثابتا نوعا ما في عدد الوفيات أي أقل من عدد المواليد وذلك للاستقرار، وعدم المشاركة في الحروب.

وبدخول العنصر العربي نجد أن نوعية المواليد تغيرت بصورة ملحوظة، حيث ازداد عدد المتعلمين والمثقفين، ومع العلم والاستقرار يتناقص عدد الوفيات اللهم إلا إذا كانت هناك ثورة ما ولكن لا تكون بالعدد الذي يكون عادة في الحروب الكبرى مثل الفتح.

وكانت الأعمار تتراوح مابين 60 إلى أكثر من 80 سنة، وهي مدة لا بأس بها ، من هنا نستنتج أن العلماء و الفقهاء و الزهاد و النساك ، أعمارهم طويلة نوعا ما وصحتهم جيدة، على حسب ما ورد في رياض النفوس للمالكي، لأنهم بعيدين عن الجيش ومشاكله.

ولا ننسى أنه أرخ عن أشخاص توفوا في سنة 333هـ وكما نعلم أنها سنة حصار المهدية من قبل مخلد بن كيداد[20]،ولذلك الحصار أثاره من ناحية الوفيات والولادات، فيصبح هناك زيادة في عدد الوفيات وانخفاض في عدد المواليد .

وعموما هي أسباب مؤقتة، تنتهي بزوال السبب.

وأما الجزء الثاني من رياض النفوس، فقد اختلفت طريقة تأريخه للشخصيات ، حيث ذكر كل الشخصيات التي توفيت في سنة واحدة أدرجها مع بعضها البعض فلقد ذكر من سنة290 هـ إلى سنة 356هـ وذكر أكثر من 110شخصا كما يلي:

السنة بالهجري	الصفحة في رياض النفوس الجزء2
290 توفي بها شخص واحد	5
294 توفي بها أشخاص	10
270أو 290 توفي بها 1	12
299 توفي بها 1	21
297 توفي بها4	27
302 توفي بها1	57
303 توفي	116

بها2	
304 توفي بها3	123
305 توفي بها8	133
307 توفي بها6	144
309 توفي بها2	162
311 توفي بها1	176
314 توفي بها2	178
ثم رجع إلى 310 توفي بها1	179
313 توفي بها 1	181
وعاد إلى314 توفي بها 2	182
316 توفي بها 4	188
318 توفي بها 2	193
319 توفي بها 2	194
322 توفي بها 2	196
319 ثم عاد إليها توفي بها3	201

323	توفي بها 1	207
324	توفي بها 3	210
327 2	توفي بها	261
330 3	توفي بها	265
331 3	توفي بها	275
332 1	توفي بها	277
333 بها4	توفي	283
334 6	توفي بها	350
335 5	توفي بها	350
337 3	توفي بها	357
339	توفي بها 7	369
341	توفي بها 2	392
342 1	توفي بها	406

343	توفي بها 1	411
344	توفي بها3	414
346	توفي بها5	422
348	توفي بها 1	439
349 3	توفي بها	440
351	توفي بها 1	459
354	توفي بها1	461
355	توفي بها1	467
356 بها1	توفي	469

والملاحظ من هذا الجدول أن المالكي حدد نوع الوفيات ومآثرهم ومناقبهم، ناهيك عن عدد الوفيات الكبير الموجود في بعض هذه السنوات وخاصة في سنة 333هـ إلى غاية 334هـ كانت نسبة الوفيات ملحوظة و نسبة الولادات بالطبيعي تتناقص وذلك لان افريقية كانت في عهد الدولة الفاطمية ، وبالأحرى سنة محنتها[21] ووصول الصراع الفاطمي الخارجي النكاري[22] إلى أشده ، لان من خرج مع أبي يزيد كانوا من الفقهاء والعباد[23]، وحاصر صاحب الحمار المهدية حتى عظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الميتة والدواب والكلاب وفرا اغلبهم وتناوبت الحرب بينهم ورجع كل إلى موضعه سنة 334هـ[24]، وهذا ملاحظ في عدد الوفيات من العلماء، حيث أنه بدأ في الثبات نوعا ما .

ففي خامس المحرم سنة خمس وثلاثين زحف أبو يزيد وركب المنصور وكان بينهما قتال ما سمع بمثله وحملت البربر على المنصور وحمل عليها وجعل يضرب فيهم فانهزموا بعد أن

قتل فلما انتصف المحرم عبأ المنصور عسكره فجعل على ميمنته أهل إفريقية وعلى ميسرته كتامة ،وركب في القلب ومعه عبيده وخاصته فوقع بين الفريقين قتال شديد وحمل أبو يزيد على ميمنة المنصور فهزمها ثم حمل على القلب فوقع إليهالمنصور وقال: هذا يوم الفتح إن شاء الله تعالى.

وحمل فيمن معه حملة رجل واحد فانهزم أبو يزيد وأخذت السيوف أصحابه فولوا منهزمين وأسلموا أثقالهم وفر أبو يزيد على وجهه وقد قتل من أصحابه ما لا يحصى كثرة حتى أن الذي أخذه أطفال أهل القيروان خاصة من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس.[25]

فهذا العدد الهائل من القتلى يزيد من عدد الوفيات وخصوصا من الفقهاء الذين قاموا بأتباع مخلد بن كيداد.

والملاحظ أيضا انه لم يؤرخ في سنة 336هـ سنة نهاية الثورة المخلدية بل ركز على السنوات التي قبلها و التي بعدها التي كان القتل فيها كثير جدا وهي المحنة المالكية.

ولارتفاع عدد الوفيات في هذه السنوات تغيرت طريقة التراجم حسب الوفيات إلى طريقة السرد العام. مع تحديد تلك المسرودات على حسب كل سنة، كما هو موضح في الجدول أعلاه.

ولقد انتهى من ترجمته لشخصيات إلى غاية 356هـ ، وعند ما نجد أن الدولة الفاطمية بدأت في الإعداد للرحيل من المغرب الى مصر، والذي تم لها في سنة 362هـ/ 973م.

وهنا نجد من خلال ملاحظتنا للجداول أن المالكي أرخ من العهد الذي سبق الدولة الفاطمية ، وتتبع وفيات علماء المالكية وزهادهم ونساكهم وطلبتهم من قيام الدولة حتى خروجها من المغرب الإسلامي، وفي هذا دلالات عديدة، حيث تتبع الوفيات، وأعطى للقارئ الفرصة للاستنتاج والمقارنة على عدد الوفيات و الولادات من الفتح الإسلامي إلى

غاية قيام الدولة الفاطمية(296-362هـ/ 909-973م)[26]، واسرد من قيام هذه الأخيرة إلى غاية خروجها من بلاد المغرب الإسلامي. ومن هنا نقول أن الفارق شاسع وخصوصا أن الوفيات كانت من طبقة العلماء الزهاد، وهنا فيه ما يقال الكثير من ناحية الولادات والوفيات، وغيرها من المواضيع.

خاتمة

وفي ختام دراستنا لهذا الموضوع ومن خلال تتبعنا للمواليد و الوفيات في بلاد المغرب الإسلامي منذ الفتح إلى غاية نهاية الدولة الفاطمية توصلنا إلى عدة نتائج أهمها تحكم العديد من الأسباب و الظروف في تحديد نسبة المواليد والوفيات ولعل أهمها العامل السياسي و المتمثل في الأمن و الاستقرار الذي لعب دورا هاما في تحديد نسبة المواليد والوفيات وهذا لما له من نتائج وتبعات ، حيث يؤدي الاستقرار إلى تزايد عدد المواليد ناهيك عن مساهمته في إطالة معدل الأعمار لدى السكان نتيجة لتحسن الظروف ، أما في حالة انعدام الأمن فيظهر العكس تماما ، حيث تؤدي الفتن و القلاقل و الحروب إلى إزهاق الكثير من الأرواح مما يعني تزايد عدد الوفيات ، هذا بالإضافة إلى العامل الطبيعي والذي يظهر من خلال الجوائح و الأمراض التي كانت تظهر من حين إلى آخر في بلاد المغرب الإسلامي.

الهوامش:

[1] - أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي : فضائلهم **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و و أوصافهم** ، تح بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ، 1414هـ/ 1994م ،ص198

[2] . القاضي أبي عياض بن موسى اليحصبي(ت 544هـ): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح، محمد عل بيضون، ضبط وتصحيح، محمد سالم هاشم، دار العلمية،ط1، بيروت، لبنان، 1998م ،ص169.

[3] . الدباغ و ابن الناجي : **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، ج3، المطبعة الرسمية ،تونس، 1320هـ ، ص 169.

[4]. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، ج4، ص 25. وينظر أيضا إبن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب** ، شركة أمل للطباعة والنشر،(د.ط) ،ص 230.

[55]. الدباغ و ابن الناجي : **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، ج3، المطبعة الرسمية ،تونس، 1320هـ ، ص20.

[6]. الدباغ : المصدر السابق، ص 137.

[7]. علي الجنزائي: **جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط2، المطبعة الملكية، الرباط، ص8

[8]. ابن وردان : **تاريخ مملكة الأغالبة** ، تح محمد زينهم محمد عزب ، ط1، مطبعة مدبولي ، مصر، 1408هـ/1988م ، ص 22.

[9]. أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي : فضائلهم **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و و أوصافهم** ، تح بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ، 1414هـ/ 1994م، ، ص38.

[10]. نفسه ، ص ص 53 . 56.

[11]. عمر بن عبد العزيز : توفي سنة 101هـ كانت خلافته سنتين و ستة أشهر ، للمزيد ينظر : أبو اسحاق بن ابراهيم الرقيق القيرواني : **تاريخ افريقية و المغرب** ، تح عبد الله علي زيدان و عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990، ص 63.

[12]. موسى لقبال : **المغرب الإسلامي** ، ط2 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1981، ص145.

[13]. يزيد بن حاتم : قدم القيروان أصلحها و رتب القيروان و أسواقها وزاد فيها و حسنها ، للمزيد ينظر : الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 111.

[14]. أحمد بن خالد الناصر السيلاوي: **الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى** ، ج1، ص116

[15]. الطنبذي : نسبة إلى طنبذة قصر حصين كان مكان المحمدية على مقربة من مدينة تونس ، للمزيد حول هذه الثورة ينظر : عبد العزيز الثعالبي : **تاريخ افريقيا الشمالية من الفتح الاسلامي حتى نهاية الدولة الأغلبية** ، تح أحمد بن ميلاد و محمد ادريس ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1410هـ/ 1990م، ص 214.

[16]، ابن الأثير : **الكامل في التاريخ**، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ط1، 1408هـ /1987م، ص 185.

[17]. ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق كولان، دار الثقافة، بيروت، ط .3، 1973م ج1 ، ص 135.

[18]. حسان عباس : **العرب في صقلية دراسة في الأدب و التاريخ** ، دار المعارف المصرية ، مصر، (د س ن)، ص34.

[19] عبد العزيز الثعالبي : المرجع السابق ، ص 229.

[20]– **مخلد ابن كيداد**: ويعرف باسمه الكامل عند الرواة بمخلد بن كيدادالبفراني بن سعد، بن مغيث، بن كرمان ، بن مخلد، بن عثمان، بن وريمة، بن تبقراسن، بن سميدان ، بن يفرن، ويفرن هذا أخو مغراوة الذي تنسب إليه قبيلة مغراوة توفي أبا يزيد سنة 336هـ. ينظر بوزياني الدراجي: **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغربوالأندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص479.

[21] – دعم فقهاء المالكية لأبي يزيد حيث أفتوا بمشروعية الخروج على العبيديين ومقاتلتهم نصرة لدين وأهل السنة فمثلا ما سرح به ابو اسحاق السبائي: " هؤلاء من أهل القبلة، فعلينا أن نخرج مع هذا الذي من أهل القبلة لقتال من هو على غير القبلة..."..... ينظر . ابن العذاري المراكشي: المصدر السابق ،ج2، ص339.

[22]– النكاري: ويقال لهم النكاريةوانجوية والشعبية والشغبية، وهم خوارج الأندلس والمغرب من الاباضية وأكثرهم في موضع يقال له كدية النكار، وهم جماعة يزيد بن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان لأنه لم يكن الإمام بالإجماع،أنظر عبد المنعم الحفني: **الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية دارالرشاد**،ط .1، 1413هـ/1993م، ص405، وكذالكلسان الدين بن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي فيالعصر الوسيط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء،1964م، ص53.

[23]–المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ج .1، ط2، 1416 هـ /1996م ص.ص.135.125

[24]- ابن أبي دينار: **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط 1، 1286 هـ ، ص57.

[25]- ابن الأثير: المصدر السابق، ص ص.144. 145.

[26]-يوسف علي بديوي: **عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط**، دار الأصالة، الجزائر، 2010م، ص 86.